بر الوالدين من أسمى غايات الشريعة الإسلامية

الحمد لله الذي خلق الكون فنظَّمه، وخلق الإنسان وكرَّمه، وسنَّ الدين وعظَّمه، ووضع البيت وحرَّمه وسخر الطير وألهمه وسير السحاب وكوَّمه، وبعث العظم ورمَّمه، و أنزل الكتاب وأحكَمه، ورفع القمر وقوَّمه، وخلق النحل وفهَّمه، وحفظ إبراهيم من النار وسلَّمه، ونادى موسى وكلَّمه، ووهب سليمان ملكاً وفهَّمه، وأرسل محمداً بالحق وعلَّمه، اشهد أن لا اله إلا الله وحد لا شريك له شهادة عبد مقر لك بذنبه، خاشع لك بذلته، يناديك باسمك الأعظم أن تغفر الذنب وتقبل التوب، وتصفح الصفح الجميل، يا مَن يُجيب دُعاءَ المُضطرَفي الظُلَمِ ... يا كاشِفَ الضَرّوالبلوَى مَع السَقَمِ

قَد نامَ وفدُكَ حَولَ البَيتِ و انتَبَهُوا... و أنتَ يا حيُ يا قَيُوم لَم تَنَمِ.. أدعوكَ رَبي حَزيناً هائِماً قَلِقاً... فارحَم بُكائيَ بِحق البَيتِ والحَرَم.. إن كانَ جُودكَ لا يَرجُوهُ ذو سَفَهٍ... فمَن يَجُود على العَاصِينَ بِالكَرَم

وأشهد أن نبينا وعظيمنا وإمامنا وشفعينا وقدوتنا وسيدنا محمد بن عبد الله صل الله عليه وآله وصحبه ومن والاه

يا رب صل عَلى النَبي المجتبى ... ما غردت في الايك ساجعة الربا... ياربِّ صلِّ على النبي وآلهِ..ما اهتزتِ الأثلاثُ منْ نفسِ الصبا ... ياربِّ صلِّ على النبي وآلهِ... ما لاح برقٌ في الأباطحَ أو خبا... ياربِّ صلِّ على النبي وآلهِ ما أمتْ الزوارُ نحوكَ يثربا.... ياربِّ صلِّ على النبي وآلهِ.... ما قال ذو كرمٍ لضيفٍ مرحبا.... ياربِّ صلِّ على النبي وآلهِ ما كوكبٌ في الجو قابلَ كوكبا.... يارب صلِّ على الذي أدنيته.... منْ قابَ قوسينِ الجنابَ الأقربا.... باللهِ يا متلذذينَ بذكرهِ.... صلوا عليهِ فما أحقَّ وأوجبا... صلوا على المختارِ فهوَ شفيعكمْ... في يومِ يبعثُ كلَّ طفلٍ أشيبا

<u>فحديثنا اليوم عن حقوق الوالدين والضعفاء</u>

(حديث القرآن والسنه عن حقوقهما- نماذج من البروالعقوق ومآل صاحبهما)

1- ورد لفظ الوالدين في القرآن في أكثر من موضع منها: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ) ... وفيها دلالة أن الشرائع كلها، هذا نسقها وهذا ترتيبها، عبادة الله وعدم

الشرك به، مقرونة ببر الوالدين، ثم الأرحام، والأضعف فالأضعف اليتامي، والمساكين، ومن تلاهم، ثم يأتى بعد ذلك العبادة الصلاة والزكاة وغيرهما!!

2- يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ، فهذا بيان لأن النفقة أول ما تكون تكون للوالدين ثم الأقربين ثم الأضعف فالأضعف، ... ويقال إن تلك الأية نزلت في عمرو بن الجموح لما سأل رسول الله أين ينفق أمواله؟ جاء في فيض القدير للمناوي عند شرح الحديث: الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة، قال: الصدقة على المسكين الأجنبي صدقة فقط، وهي على ذي الرحم اثنتان .أي صدقتان اثنتان .صدقة وصلة، فهي عليه أفضل، لاجتماع الشيئين، ففيه حث على الصدقة على الأقارب وتقديمهم على الأباعد

وفي الحديث: عَنْ أنَسٍ، «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَألَ البَراءَ بْنَ عازِبٍ فَقالَ: "يا بَراءُ، كَيْفَ نَفَقَتُكَ عَلى أُمِّكَ؟" وكانَ مُوَسِّعًا عَلى أهْلِهِ. فَقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما أحْسَنُها ! قالَ: "فَإنَّ نَفَقَتَكَ عَلى أهْلِكَ ووَلَدِكَ وخادِمِكَ صَدَقَةٌ فَلا تُتْبِعْ ذَلِكَ مَنًّا ولا أذًى"» .(أخرجه الحاكم وحسنه) وفي الحديث كذلك: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قالَ: «"مَرَّ عَلى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَرَأى أصْحابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِن جَلَدِهِ ونَشاطِهِ فَقالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كانَ هَذا في سَبِيلِ اللَّهِ. فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى عَلى ولَدِهِ صِغارًا فَهو في سَبِيلِ اللَّهِ، وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى عَلى أبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهو في سَبِيلِ اللَّهِ، وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى عَلى نَفْسِهِ يُعِفُّها فَهو في سَبِيلِ اللَّهِ، وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى رِياءً ومُفاخَرَةً فَهو في سَبِيلِ الشَّيْطانِ "» (الطبراني)

يقول الحق سبحانه، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (النساء) ويقول ﷻ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وقوله تعالى({وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً}) وفي قراءة حسنا، وكرها بالفتح والضم تعني المشقة، والتعب والألم وقوله ﷻ {وَقضى رَبك أَلا تعبدوا إِلَّا إِيَّاه وبالوالدين إحسانا إِمَّا يبلغن عنْدك الْكبر أَحدهمَا أَو كِلَاهُمَا فَلَا تقل لَهما أُفٍّ} قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ / إِمَّا يبلغان / على الِاثْنَيْنِ قَرَأَ ابْن كثير وَابْن عَامر{أُفٍّ} بِفَتْح الْفَاء وَقَرَأَ نَافِع وَحَفْص أُفٍّ

بِالتَّنْوِينِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {أُفٍّ} خفضا بِغَيْرِ تَنْوِين وَهَذِه الْكَلِمَة بالفتح يكني بهَا عَن الْكَلَام الْقَبِيح لِأَن الأف وسخ الْأَظْفَار والتف الشَّيْء الحقير.

فتلك الآيات كلها اتفقت على أن بر الوالدين تاليا لعبادة الله وعدم الإشراك به، تأتي مرة في صورة الأمر المباشر والنهي المباشر، وأعبدوا وبالوالدين .. ومرة في صورة الوصية الواجبة، النافذة، وصية من الله، واجبة النفاذ والحكم على الفور لا على التراخي، كما يوصيكم في أولادكم، يوصي الأولاد بالآباء، ووصينا الإنسان بوالدية حسنا برا ومعروفا حيث إن رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين الإحسان المأمور به أن يقوم الابن بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما، ولا يخشن في الكلام معهما، ويسعى في تحصيل مطلبهما، والإنفاق عليهما بقدر القدرة.

ما الفرق بين إحسانا وحسنا؟

لنتعرف أولا على الفرق اللغوي بين المعنيين، الإحسان: لغةً: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير، أو بمعني أخر كل ألوان الخير، وهو كما في الحديث أن تعبد الله كأنك تراه، أما الحسن فهو ضد القبح، تقول ثوب حسن، أو لون حسن أو جلد حسن أي طيب نقي لا يؤذي العين ولا السمع، والإحسان أعم وأكثر وأنفع من الحسن، وهو جامع لكل ألوان الحسن، فربما كان الحسن في شيء واحد، أما الإحسان فهو تعدد صور وألوان الحسن، فعندما تقول إحسانا، ينصرف الذهن إلى كل ألوان الإحسان والبر والخير والمعروف، لا لون واحد، ولذا سنلاحظ في آية العنكبوت ووصينا الإنسان ... ذلك في حال الشرك أو الكفر، ومع هذا مطلوب منه الحسن، أي الرفق في القول واللين في المعاملة، حتى وإن كان الأبوان كافران!! أما الإحسان فهو في مقام المؤمن!!

وقيل كذلك أن القراءة الواردة بحسنا وإحسانا، تبين أن ثمة تباين بين درجات الناس، فهناك العوام وهناك الخواص، فربما اقتصر بعضهم أو فهم بعضهم أن الإحسان مجرد إيصال الخير أو البر أو المعروف للوالدين، كالنفقة والكسوة وغيرهما من الأمور المادية مع إهمال الجانب المعنوي، ولما كانت الشريعة الإسلامية تجمع بين المظهر والجوهر، والروح والجسد ، فقد ورد اللفظين لبيان التنوع، وأن المراد الخير المعنوي والمادي، أي وجوب النفقة والكسوة والقيام بما يحتاجون إليه، مع لين الكلام، وخفض الجانب، وحسن المعاملة، ولا يصدر حتى مجرد التأفف!! ويدلل علي ذلك ما ورد في تباين القراءات في قول الله وقولوا للناس حسنا، فمنهم من قرأ بالضم ومنهم من قرأ بفتح الحاء ومنهم من قرأ إحسانا!!

لطيفة:

وقضى" أي أمَر وألزَم وأوجَب، قال ابن عباس والحسن وقتادة: ليس هذا قضاءُ حُكْم بل هو قضاءُ أمْرٍ. وفي مصحف ابن مسعود "ووصَّى" وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس أيضا وعليّ وغيرهما، وكذلك عند أُبيّ بن كعب. قال ابن عباس: إنما هو "ووصَّى ربك" فالتصقت إحدى الواوَين فقُرئَت "وقضى ربك" إذ لو كان على القضاء ما عصَى اللهَ أحدٌ. وقال الضحاك: تصحَّفت على قوم "وصَّى بقَضَى" حين اختلَطَت الواو بالصاد وقت كَتْبِ المصحف. وذكر أبو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك. وقال عن ميمون بن مهران أنه قال: إن على مقال ابن عباس لَنورًا، قال الله تعالى: (شرَع لكم من الدين ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينا إليك) (الشورى: 13) ثم أبَى أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك، قال: ولو قلنا هذا لَطَعَنَ الزنادقة في مصحفنا. ثم قال علماؤنا المتكلمون وغيرهم: القضاء يستعمل في اللغة على وجوه: فالقضاء بمعنى الأمر، كقوله تعالى: (وقضَى ربُّك ألّا تعبدوا إلا إيّاه) (الإسراء: 23) معناه: أمَرَ. والقضاء بمعنى الخلق، كقوله: (فقضاهنَّ سبع سموات في يومين) فصلت: 12) يعني: خلَقهنَّ. والقضاء بمعنى الحكم، كقوله تعالى: (فاقْضِ ما أنت قاضٍ) (طه: 72) يعني: احكُم ما أنت تحكُمُ. والقضاء بمعنى الفراغ، كقوله: (قُضيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتيان) (يوسف: 41) أي: فُرِغ منه. ومنه قوله تعالى: (فإذا قَضَيتُم مناسكَكم) (البقرة: 200) وقوله تعالى: (فاذا قَضَيتم الصلاةَ) (الجمعة:10) والقضاء بمعنى الإرادة، كقوله تعالى: (إذا قضَى أمرًا فإنما يكون له كن فيكون) (مريم: 35) والقضاء بمعنى العهد، كقوله تعالى: (وما كنتَ بجانب الغربيّ إذ قَضَينا إلى موسى الأمرَ) (القصص: 44)

فإذا كان القضاء يحتمل هذه المعانيَ فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصيَ بقضاء الله (أي أمر الله إنما المراد الكتابة) ؛ لأنه إن أريد به الأمر فلا خلاف أنه يجوز ذلك، لأن الله تعالى لم يأمر به فإنه لا يأمر بالفحشاء، وقال زكريا بن سلام: جاء رجل إلى الحسن فقال إنه طلق امر أته ثلاثًا، فقال: إنك قد عصَيتَ ربك وبانت منك. فقال الرجل: قضَى الله ذلك عليّ! فقال الحسن وكان فصيحًا: ما قَضَى الله ذلك. أي ما أمَر الله به، وقرأ هذه الآية: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه).

- حديث السنة .

عن معاذ بن جبل، قال: أوصاني رسول الله ﷺ، فقال: (لا تعق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك) (ابن الجوزي وقال حسن لغيره، ورواه أحمد بلفظ أخر). وفي الأثر وقيل هو من كلام

عمر ﷺ: (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم). عن عبد الله بن عمرو - ﷺ - قال: جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد، فقال: (أحي والداك؟) قال: نعم. قال: (ففيهما فجاهد) (البخاري). عن عبد الله بن عمرو - ﷺ - قال: جاء رجل إلى النبي يبايعه، فقال: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان، قال: (فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما). (أبو داود بسند صحيح) وعن ابن عباس، قال: جاءت امرأة ومعها ابن لها، وهو يريد الجهاد، وهي تمنعه، فقال رسول الله ﷺ: (أقم عندهما، فإن لك من الأجر مثل الذي يريد).

عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» (صحيح مسلم)

وعن عبد الله بن مسعود - قال: سألت رسول الله ﷺ: (أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة لوقتها). قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين). قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). (الشيخان)

عن النبي ﷺ أنه قال: (يا بن آدم، بر والديك، وصل رحمك، ييسر لك أمرك، ويمد لك في عمرك، وأطع ربك تسمى عاقلاً، ولا تعصه تسمى جاهلاً). (ابن الجوزي بر الوالدين)

أتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رجلٌ ومعه شيخٌ فقال له يا فلانُ مَن هذا معك قال أبي قال فلا تمشِ أمامَه ولا تجلِسْ قبلَه ولا تدعُه باسمِه (الطبراني بسند حسن). وعن الحسن أنه سئل عن بر الوالدين فقال: (أن تبذل لهما ما ملكت، وتطيعهما ما لم يكن معصية). (عبد الرزاق في المصنف والبغوي شرح السنة) وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لرجل وَهُوَ يعظه فِي بر أَبِيهِ: «لَا تمش أَمَام أَبِيك، وَلَا تجْلِس قبله، وَلَا تَدعه باسمه» (شرح السنة). وعن عمر ﷺ، قال: (بكاء الوالدين من العقوق والكبائر). (الأدب المفرد)

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: عن عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بَنِيَّ، و أنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب،

فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء(الشيخان) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ " وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ (الإمام أحمد صحيح والحاكم في المستدرك)

وعن عون بن عبد الله، أنه نادته أمه فأجابها، فعلا صوته، فأعتق رقبتين

عن عائشة ﷺ قالت: كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أبر من كانا في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان ﷺ، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت.

وأما حارثة فأنه كان يفلي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج: ما أرادت أمي؟.

وعن أبي هريرة أنه كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه، فقال: (السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا ولدي ورحمة الله وبركاته. فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً).

<u>اثم العقوق.</u>

عن أبي بكرة، عن أبيه، قال: ذكرت الكبائر عند النبي ﷺ، فقال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين) (البخاري ومسلم) وعنه ﷺ، قال: عن أبي الدرداء: عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر». (النسائي وغيره بسند حسن)

وعن ابن عمر، أن النبي ﷺ، قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى. (ابن حبان وصححه) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (أربعة حق على الله تعالى ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه). (الحاكم في المستدرك وصححه الذهبي)

ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من عق والديه (رواه الطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد) رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد. (ابن حبان وصححه) . وعن أبي بكرة، أن رسول الله

ﷺ، قال: (كل الذنوب يؤخر منها ما شاء الله إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا) (الحاكم في المستدرك وصححه) . وعن بعض الحكماء: (لا تصادق عاقاً، فإنه لن يبرك، وقد عق من هو أوجب منك حقاً). عن عبد الله بن مسعود، قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الوالد والمظلوم والمسافر) (البيهقي بسند حسن) . وكان الحسن يقول: (دعاء الوالدين ينبت المال والولد). وسئل الحسن: ما دعاء الوالد للولد؟ قال: (نجاة). وعن مجاهد: (ثلاثة لا تحدب دعوتهم عن الله عز وجل: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، وشهادة ألا إله إلا الله) عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه). قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: (يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه). (البخاري)

واختم بتلك القصة عن البر و أثره.

إنها قصة بقرة بني إسرائيل، التي سطرها القرآن بآيات من نور في أطول سورة في القرآن، كان في زمن بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى، وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم بالقتل، فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام. فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم، فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة، وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً أي نحن نسألك أمر القتيل، و أنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة و إنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قالَ يعني موسى أَعُوذُ بِاللَّهِ أي أمتنع بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه إياها ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة الله عز وجل، وذلك أنه كان رجل صالح في بني إسرائيل، وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال: اللهم إني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل، وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس، فلما كبر ذلك الطفل، وكان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا، ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما يشاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه، فقالت له أمه يوما: يا بني إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها

وصفرتها، فأتى الفتى غيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيها الفتى البار بأمه اركبني فإنه أهون عليك. فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له أمه: إنك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة، فقال: بكم أبيعها قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى إلى السوق، وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف بره بأمه، وهو أعلم فقال له الملك: بكم هذه البقرة؟ قال بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى أمي فقال له الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا أمي. ورجع الفتى إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها إلا برضاي فرجع بها إلى السوق وأتى الملك فقال له: استأمرت أمك فقال الفتى: نعم. إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على رضاها. فقال الملك: إني أعطيتك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه: إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك: اذهب إلى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل، فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فأمسكتها وقدر الله على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة بذلك الفتى على بره بأمه فضلا من الله تعالى ورحمة .

كتبه ورتبه د محمد سالم الصعيدي الأزهري الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر